

سورة الإسراء

﴿الآيات: ٤ - ١﴾

الدرس

2

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف بعض نعم الله على بني إسرائيل وعصيانهم وفسادهم.
- 2- أن أستنتج من الآيات سبب فساد بعض بني إسرائيل وعصيانهم.
- 3- أن أتمثل وجوب شكر الله على نعمه.

تمهيد

بعد ما ذكر الله تعالى إكرامه لنبيه محمد ﷺ بمعجزة الإسراء، بين في هذه الآية أنه أكرم نبيه موسى عليه السلام قبله بالتوراة كتابا منزلا من عند الله تعالى، فجعله هدى لبني إسرائيل يخرجهم به من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان، إلا أنهم ما عملوا بهديها، فأفسدوا في الأرض وطغوا وتجبروا وعلوا علوا كبيرا.

فما هي وصية الله تعالى لبني إسرائيل في التوراة؟ ولماذا خالفوا أوامر الله عز وجل؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي
وَكِيلًا ۚ ٢ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝ ٣ وَفَضَّلْنَا إِبْرَاهِيمَ
إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلَمُنَّ عُلُوقَ كَبِيرًا ۝ ٤﴾

[سورة الإسراء: 2 - 4]

الفهم

الشرح :

وَكَيْلًا : متوكلا عليه في الأمر .
وَفَضَيْبًا : فرغنا، وقيل: أخبرنا، وقيل: كتبنا في أم الكتاب .
لَتَبْعِدَنَّ : لتخالفن ما شرعه الله لكم في التوراة .
وَلَتَعْلَشَنَّ : ولتتجبرن وتطغون وتظلمن .

استخلاص المضامين :

- 1بم امتن الله على بني إسرائيل في الآيات؟
- 2بم قضى الله على بني إسرائيل في الكتاب؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: بعض نعم الله تعالى على بني إسرائيل:

امتن الله عز وجل في هذه الآيات على بني إسرائيل ببعض النعم التي أنعم بها عليهم، ومنها أنه أرسل إليهم موسى عليه السلام نبيا، وأنزل عليه التوراة هداية لهم فقال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ هذه الجملة معطوفة على جملة ﴿أَسْرَيْنَا بِعَبْدِهِ﴾ وما بعدها مع ما فيه من تقدير، وكأنه قال: أسرينا بعبدنا وأريناه آياتنا، وآتيناه الكتاب الذي هو التوراة.

ثم قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ نَدَىٰ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ الضمير في ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ يحتمل أن يعود على الكتاب، ويحتمل أن يعود على موسى.

ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَذَكَّرُونَ مِنِّي وَكَيْلًا﴾ ذكر ابن عطية رحمه الله في إعراب قوله: ﴿الَّذِينَ تَتَذَكَّرُونَ﴾ وتقديره وجوها:

أحدها: أن تكون (أن) ناصبة للفعل، فتكون (أن) وما بعدها في موضع نصب بتقدير كراهية أن، أي: وجعلناه هدى لبني إسرائيل (كراهية أن تتخذوا)، أو في موضع خفض بتقدير لأن: لئلا تتخذوا.

وثانيها: أن تكون (أن) مفسرة بمعنى " أي " التي للتفسير، فيكون هناك التفات وانتقال من الغيبة إلى الخطاب والنهي، وذلك على قراءة الجمهور ﴿أَلَا تَتَّخِذُوا﴾، ومثله الالتفات من الغيبة إلى الخطاب والأمر في قوله: ﴿وَأَنكْهَلُوا أَلَمَّا مِنْهُمْ بِأَنِ إِمْشَوْا﴾ [ص: 5]

وثالثها: أن تكون (أن) زائدة ويضمّر في الكلام قول تقديره: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فقلنا لهم: ﴿أَلَا تَتَّخِذُوا مِنِّي ذُؤَبِي وَكَيْلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَيْلًا﴾ الوكيل هنا فعيل من التوكل، أي: متوكلا عليه في الأمور، فهو ند لله بهذا الوجه، وقال مجاهد: وكيلا شريكا.

ثم قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً مَّحْمَلًا مَعَ نُوحٍ﴾ يحتمل نصب " ذرية " أربعة أوجه:

أحدها: على أنها مفعول ب (يتخذوا) ويكون المعنى: أن لا يتخذ بشر إلها من دون الله.

وثانيها: على النداء أي: يا ذرية، فهذه مخاطبة للعالم، قال قوم: وهذا لا يتجه إلا على قراءة من قرأ (تتخذوا) بالتاء من فوق، ولا يجوز على قراءة من قرأ (يتخذوا) بالياء؛ لأن الفعل الغائب والنداء لمخاطب والخروج من الغيبة إلى الخطاب إنما يستسهل مع دلالة الكلام على المراد، وفي النداء لا دلالة إلا على تكلف.

وثالثها: أن تكون منصوبة بإضمار أعني، وذلك متجه على القراءتين على ضعف هذا الوجه.

الرابع: أن تكون بدلا من ﴿وَكَيْلًا﴾، وهذا أيضا فيه تكلف.

وإنما عبر الحق سبحانه بقوله: ﴿ذُرِّيَّةً مَّحْمَلًا مَعَ نُوحٍ﴾ عن الناس الذين عناهم في الآية؛ لأن في هذه العبارة تعديد النعمة على الناس في الإنجاء المؤدي إلى وجودهم، وتقبيح الكفر والعصيان مع هذه النعمة، والذين حملوا مع نوح وأنسلوا هم بنوه لصلبه؛ لأنه آدم الأصغر، وكل من على الأرض اليوم من نسله، وإن كان معهم غيرهم فلم ينسل. هذا قول الجمهور، ذكره

الطبري عن قتادة ومجاهد.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّكَ كَانَتْ عَبْدًا شَكُورًا﴾ أي: كان كثير الشكر، ووصفه بـ (الشكور) لأنه كان يحمد الله في كل حال وعلى كل نعمة، على المطعم والمشرب والملبس وغير ذلك.

ثانياً: قضاء الله بإفساد بني إسرائيل في الأرض:

لما ذكر الله تعالى أنه أنعم على بني إسرائيل بإنزال التوراة عليهم، وجعلها هدى لهم، بين في هذه الآية أنهم لم يهتدوا بها، فوقعوا في الفساد، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَاسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوكُمْ كَبِيرًا﴾. هذه الجملة معطوفة على جملة ﴿وَعَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، قال الطبري: معنى ﴿قَضَيْنَا﴾ فرغنا. وحكي عن غيره أنه قال: ﴿قَضَيْنَا﴾ هنا بمعنى أخبرنا، وحكي عن آخرين أنهم قالوا: قضينا معناه في أم الكتاب.

وذكر ابن عطية رحمه الله أنه يلتبس في هذا المكان تعدية ﴿قَضَيْنَا﴾ بـ ﴿إِلَى﴾، ذلك أن هذا الأمر هو مما قضاه الله تعالى في أم الكتاب على بني إسرائيل، وألزمهم إياه، ثم أخبرهم به في التوراة على لسان موسى عليه السلام، فلما أراد هنا الإعلام لنا بالأمرين جميعاً في إيجاز، جعل قضينا دالة على النفوذ في أم الكتاب، وقرن بها ﴿إِلَى﴾ دالة على إنزال الخبر بذلك إلى بني إسرائيل، والمعنى المقصود مفهوم خلال هذه الألفاظ، ولهذا فسرهما ابن عباس مرة بأن قال: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَاسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ معناه أعلمناهم، وقال مرة: معناه قضينا عليهم.

وقوله تعالى: ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ الكتاب هنا التوراة؛ لأن القسم في قوله: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ غير متوجه مع جعل الكتاب هو اللوح المحفوظ. وقرأ سعيد بن جبير (في الكتب) على الجمع، قال أبو حاتم: قراءة الناس على الأفراد.

وقوله: ﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾ أي: لتتجبرن عن طاعة الأمرين بطاعة الله وتطلبون في الأرض العلو والفساد وتظلمون من قدرتم على ظلمه ونحو هذا.

ومعنى الآيات: أن الله تعالى أعلم بني إسرائيل في التوراة أنه سيقع منهم عصيان وطغيان وكفر بنعم الله تعالى، وسيحدث ذلك منهم مرتين في زمنين متباعدين، وهذا الإخبار منه تحذير لهم

من الوقوع في المعاصي والطغيان ودعوة لهم إلى الالتزام بما جاء في التوراة من هدي وبيان.

ثالثاً: مقاصد الآيات:

- تهدف هذه الآية إلى بيان جملة من المقاصد التربوية منها:
- أن توحيد الله عز وجل هو غاية كل الرسالات السماوية السابقة.
- تذكير الناس بأن أصلهم واحد على اختلاف أجناسهم وأعرافهم وشرائعهم.
- التذكير بنعم الله الكثيرة على بني إسرائيل وما يقتضي ذلك من شكر الله تعالى في مقابل هذه النعم الكثيرة، اقتداء بسيدنا نوح عليه السلام الذي كان عبدا شكورا.

التقويم

- 1 - ما الغاية من إنزال التوراة على سيدنا موسى عليه السلام؟
- 2 - ما هي أوجه الإعراب الواردة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَذَكَّرُونَ أَكْثَرٌ وَأَكْثَرٌ﴾؟
- 3 - لماذا عبر القرآن الكريم بـ ﴿مَرْحَمَلْنَاهُ نَوْجٌ﴾ بدل الناس أو القوم؟

الاستثمار

عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد أنه قال في قوله تعالى في حق نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3]: "لَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا حَمْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَشْرَبْ شَرَابًا قَطُّ إِلَّا حَمْدَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَمْشِ مَشْيًا قَطُّ إِلَّا حَمْدَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَبْطِشْ بِشَيْءٍ قَطُّ إِلَّا حَمْدَ اللَّهِ عَلَيْهِ؛ فَأَثْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا"

[شعب الإيمان للبيهقي: رقم الحديث: 1514]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- 1 - كيف ينبغي للإنسان أن يشكر نعم الله عليه ؟
- 2 - ما الغاية من تذكير بني إسرائيل بكون نوح عليه السلام عبدا شكورا؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 5 - 7 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

- 1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **بَأْسٍ - نَعِيرًا - وَلِيْتَبِّرُوا - عَلَوْا - مَهْصِرًا**.
- 2 - أبحث فيما ذكره المفسرون من أقوال في نوع إفساد بني إسرائيل في المرتين، ومن سلط الله عليهم من العباد؟
- 3 - أعرب قول الله تعالى: ﴿إِذْ أَخَسَّنْتُمْ وَأَخْسَنْتُمْ لِذُنُوبِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَغَا﴾.